اسباب السرطان والوقاية منه

كلام عمومي

وضع احد العلماء كتاباً موضوعهُ كيف يتولد السرطان وكيف يتقى ولخصهُ بمقالة نشرت في جزء سبتمبر من مجلة «العالم اليوم» الانكليزية فترجمناها بما يلي قال

بلغ عدد الوفيات في انكلترا وويلس ٤٨٦٧٨٠ سنة ١٩٢٢ ومن هؤلاء ٤٦٩٠٣ ماتوا بالسرطان اي ان عشر الناس في بلاد الانكليز يموت بهذا الداء الخبيث . وتدل احصاءات الحكومة على ان وفيات السرطان آخذة في الازدياد كما ترى في الجدول التالي الذي ذُكر فيهِ عدد الوفيات بالسرطان من كل مليون من السكان

سنة ١٨٩١	٦٩٢	سنة ١٩١١	٩٩٢
سنة ١٩٠١	٨٤٢	سنة ١٩٢٢	١٢٢٩

وكان متوسط الوفيات السنوي بالسرطان ١٧٣ من سنة ١٨٣٨ الى سنة ١٨٤٢ و٣٦٧ من سنة ١٨٦١ الى سنة ١٨٦٥ . وعليهِ فقد زاد عدد الوفيات بهِ اكثر من سبعة اضعاف في ٨٤ سنة . وبعض هذه الزيادة نتج من زيادة التدقيق في معرفة المرض الذي سبَّب الوفاة ومن ان متوسط عمر الانسان قد زاد في هذه المدة لان السرطان من ادواء الشيخوخة ولكن لا شبهة في ان زيادة الوفيات بهِ ناتج اكثرها عن زيادة انتشارهِ

والعلاج المعتمد عليهِ الآن في معالجة السرطان هو العملية الجراحية وهو نفس العلاج الذي كان يستعمل في زمن اليونان والرومان. فاذا عملت العملية الجراحية في بدء ظهور السرطان فقد تنجي منهُ ولكن هذه العملية قلما تعمل الاَّ متأخرة . ثم ان السرطان يكون في الغالب داخليًّا لا يرى والنمو السرطاني لا يؤلم الا اذا كبر واتسع واصاب عصباً حسّاساً . ولذلك قلما يعرف وجود السرطان الاَّ بعد ما تصير معالجتهُ مستحيلة

والسل الرئوي وهو اخبث الادواء وافتكها يقل فتكهُ عن فتك السرطان فقد مات بالسرطان ٤٦٩٠٣ سنة ١٩٢٢ كما تقدم ولكن لم يمت بالسل الرئوي تلك السنة الا ٣٣٩١٩ فيزيد قتلى السرطان على قتلى السل خمسين في المائة. وقتلى السرطان

يزيدون سنة بعد سنة كما تقدم واما قتلى السل فيقلون . والسل داء لطيف غير مؤلم في جنب داء السرطان المؤلم فتجد المسلول اليساً في الغالب شديد الامل بالشفاء واما المصاب بالسرطان فامهُ مبرح ويود التخلص من الحياة ليخلص من الالم

ويعالج السرطان الآن بالقطع والكي ويعالج ايضاً باشعة اكس واشعة الراديوم ولكن ذلك لا يزال في دور الامتحان . وقد حاول الاطباء معالجتهُ بالادوية المختلفة منذ القي سنة الى الآن فلم ينجح دواء منها . ومن المحتمل ان العلم يفلح في ايجاد علاج يشفي منهُ ولو لم يفلح الى الآن

وفي العقود الاخيرة اهتم الوف من العلماء بالبحث عن مكروب السرطان فلم يفلحوا فان البعض يظنون انهُ مرض مكروبي ولكن غيرهم يقول انهُ غير مكروبي واذا وجد لهُ مكروب لم يكشف حتى الآن لصغره فلا نستطيع ان نقتلهُ من غير ان يقتل الانسان المصاب . فقد اكتشف كوخ مكروب السل منذ سنة ١٨٨٢ وحتى الآن لم توجد وسيلة تقتلهُ من غير ان تضر المسلول

اننا في ريب من وجود مكروب للسرطان واذا وجدنا لهُ مكروباً لا نستطيع ان نشفيهُ منهُ فلا يبقى امامنا الا ان نجد وسيلة نقي منهُ . والمظنون ان سبب السرطان مجهول ولكن اذا كان البحث الذي نشرتهُ في كتابي صحيحاً لم يبق هذا السبب مجهولاً

لما بحثت عن الاماكن التي يكثر فيها السرطان استغربت كيف انهُ يكثر في البلدان المتمدنة ويكاد يكون منفيًّا من البلدان التي لا يزال اهلها على الفطرة . وهو على اكثره بين ارقى الامم عمراناً وفي المدن اكثر منهُ في الارياف . وزد على ذلك ان الزنوج الذين سكنوا اميركا وجاوروا المتمدنين في معيشتهم يكثر بينهم كما يكثر بين المتمدنين . على ان الزنوج الذين في بلدانهم الاصلية ولم يزالوا على الفطرة خالون منهُ وكذلك هنود اميركا الذين لم يساكنوا البيض . وكل بحث بحثتهُ من هذا القبيل كانت نتيجتهُ ان السرطان من ادواء العمران او ان بين الاثنين علاقة سببية

فجعلت ابحث في مواد العمران كالمساكن واللباس والطعام والشراب . ولما رأيت ان السرطان يصيب في الغالب القناة الهضمية حسبتُ ان للطعام علاقة به . وقد ظنَّ كثيرون من العلماء والاطباء ان اكل اللحم سبب من اسباب السرطان ولكنني وجدت بالاستقراء ان الذين يقتصرون على اكل الاطعمة النباتية يصابون بالسرطان مثل غيرهم بينما ان سكان بلاد الارجنتين الاصليين تقلُّ اصابتهم به وهم يأكلون لحماً

اكثر من غيرهم . ويندر ان يصاب الاسكيمو بالسرطان مع ان طعامهم يكاد يكون كلهُ لحماً وسمكاً

ثم وجدت بعد البحث الطويل ان السرطان الذي يصيب المشتغلين باشعة اكس انما يصيبهم بعد اشتغالهم بها بعشر سنوات او خمس عشرة سنة او اكثر . ووجدت ايضاً ان الانسان قد يكوى باشعة اكس في يدهِ ولا يصاب بالسرطان بينما غيرهُ يصاب بهِ من فعل اشعة اكس ولو كان فعلها طفيفاً ولو بعد خمس عشرة سنة او اكثر . ورأيت اناساً ظهر فيهم السرطان بعد ان تركوا الاشتغال باشعة اكس بزمن طويل . فثبت لي من ذلك كلهِ ان السرطان داء بطيء الظهور جدًّا اي انهُ مثل السموم التي لا تفعل الا بعد ما تتراكم في جسم مدة سنين كثيرة كالرصاص ونحوهِ

والسرطان الناتج من فعل اشعة اكس يصيب اليدين وهو محدود ويعرف سببهُ. وبعض السموم الكيماوية تحدث سرطاناً مثل سرطان اشعة اكس ومن ذلك السرطان الحادث من استعمال الزرنيخ وهو يحدث كسرطان الاشعة بعد عشر سنوات الى عشرين سنة او اكثر وسببهُ استعمال الزرنيخ كدواء من الداخل او كدهان من الخارج مدة عشرين سنة او اكثر

ومن هذا القبيل سرطان الانيلين الذي يصيب العاملين بهذا الصبغ من امتصاص جلدهِ اما بالرئتين او بالجلد بعد استعمالهِ مدة عشر سنوات الى عشرين سنة او اكثر . وقد يظهر فيهم بعد تركهم للعمل بالانيلين بمدة طويلة . فثبت لي من درس سرطان الزرنيخ وسرطان الانيلين وما ماثلهما من السرطانات الناتجة عن سموم كيماوية ان السرطان يحدث من تراكم السم الذي يسببهُ مدة عشر سنوات الى عشرين سنة او اكثر اي ان مقادير قليلة من السم تتراكم سنة بعد سنة حتى تقوى على اظهار السرطان ولو لم تظهر فيها اعراض السم المعروفة

ان سكان جبال حمالايا لا يصابون بالسرطان الباطن الذي يصاب بهِ سكان البلدان الراقية في العمران ولكنهم يصابون بسرطان آخر خاص بهم وهو سرطان الكنفري اي الكاثون فان ثيابهم رقيقة لا تدفئهم وقت البرد والكنفري كانون صغير يحملهُ كل منهم يضع فيهِ جمراً ويعلقهُ بكتفيهِ لكي يدفئهُ فيشوط جلدهم قليلاً يوماً بعد يوم وسنة بعد اخرى وعلى مر السنين يصابون بالسرطان في ظاهر بطونهم او سوقهم

وقد يظهر في اول الامر ان السرطان الذي يحدث من السموم الكيماوية كالزرنيخ والانيلين يخالف السرطان الذي يحدث من حروق اشعة اكس او اشعة الراديوم او نار الكانون ولكن يظهر لدى التحقيق ان الاثنين متماثلان فان فعل الحرق مثل فعل السم والحروق الشديدة قد تميت . كان المظنون قبلاً ان موت الاحتراق سببهُ صدمة عصبية ولكن وُجد بالبحث المدقق ان الحروق الكبيرة تولد في الجسم مادة سامّة والذي يحترق يموت بهذا السم لا بالصدمة العصبية . فاذا اصابت الحروق جزءاً كبيراً من جلد حيوان فانهُ يموت ولكن اذا نُزع الجزء المحروق سلم الحيوان من الموت واذا نقل هذا الجزء المحروق وطعّم به جلد حيوان آخر سليم فانهُ يموت منهُ اي يموت بالسم المتولد من ذلك الحرق

السرطان مرض من امراض العمران

ان السرطان الناتج من اشعة اكس ومن اشعة الراديوم ومن الزرنيخ والانيلين وحرق الجلد كل ذلك نادر فما هو سبب الانواع الاخرى من السرطان الكثيرة الحدوث . قلنا ان السرطان الناتج من السموم الكيماوية والحروق يحتاج الى سنين كثيرة حتى يظهر فيحتمل ان بقية انواع السرطان تحدث ايضاً من سموم اخرى بطيئة الفعل فلا يظهر فعلها الا اذا تراكمت مدة عشرين سنة او ثلاثين . وهذه السموم يمتصها الجسم رويداً رويداً . فما هي السموم التي يمتصها جسم الانسان مدة طويلة امتصاصاً متصلاً او متقطعاً

ان سكان البلدان المتمدنة يأكلون اطعمة محفوظة بواسطة مواد كيماوية سامة فتمتص اجسامهم من هذه المواد كل يوم وهي اذا دخلت الجسم بمقادير كبيرة فقد تسمهُ وتقتلهُ فعلاً . ويحق لنا ان نقول ان المقدار القليل الذي يمتصهُ الجسم من الحامض البوريك او الحامض السليسيليك ونحوهما من المواد الكيماوية التي تحفظ بها الاطعمة يتراكم فيهِ يوماً بعد يوم وقد يسمهُ كما يسمهُ المقدار القليل الذي يمتصهُ جسمهُ من الزرنيخ او الانيلين اذا تراكم فيهِ . الاّ ان هذا التعليل لم يرهُ كافياً لحل مسألة السرطان فان اليونانيين والرومانيين كانوا يصابون بالسرطان ولم يكونوا يأكلون اطعمة محفوظة بمواد كيماوية ولا كانوا يستعملون الاصباغ الكيماوية التي نستعملها الآن كالانيلين . فاذا كان السرطان ناتجاً عن تسمم مزمن وجب ان نكتشف سمًّا كان قدماء اليونان والرومان مصرضين لهُ مثلنا . وهذا السم يجب ان يكون ممّا يتولد في جسم الانسان

القبض او الامساك يدعى مرض الحضارة . والناس في بداوتهم لا يصابون به الاّ نادراً كما ثبت لي من اقوال جم غفير من الاطباء وغيرهم الذين عاشوا بين سكان افريقية واسيا واميركا الجنوبية. والقبض اكثر حدوثاً بين الشعوب التي يكثر السرطان فيها منهُ بين غيرهم وهو اكثر في المدن منهُ في الارياف واكثر بين الاغنياء منهُ بين الفقراء كما ان حوادث السرطان اكثر فيهم منها في غيرهم ولذلك ظننت ان هذا السم يتولد في الامعاء وانهُ من اقوى اسباب السرطان ان لم يكن اقواها كلها وايّد البحث الدقيق ظني فان كل الذين اصيبوا بالسرطان وبحثنا في تاريخهم وجدنا انهم كانوا يصابون بالقبض . وكان القبض شديد الوطأة على اليونان والرومان ولذلك فالسبب الاكبر لداء السرطان في الامم القديمة هو السموم التي تتولد في الجسم اي في القناة الهضمية

وكانت النتيجة التي وصلت اليها في كتابي ان سبب السرطان التسمم المزمن في الجسم وقلة الڤيتامين فيهِ وقلت اني لا اعلم هل السبب الاصلي التسمم المزمن ويزيد فعلهُ بقلة الڤيتامين او ان قلة الڤيتامين هي السبب الاصلي ويزيد فعلها بالتسمم المزمن لان العلتين توجدان معاً . وسبب القبض في الغالب قلة وجود الڤيتامين

المتمدنون يتأنقون في طعامهم ويزيد تأنقهم بزيادة تمدنهم وغناهم . واما الفقراء وغير المتمدنين فيكتفون بالاطعمة الخشنة كالفريك (القمح المشوي) والسويق ويصنعون خبزهم من دقيق غير منخول . ويأكلون كثيراً من البقول بما فيها من الالياف الصرة الهضم والاثمار الفجة وما اشبه. واما المتمدنون فيصنعون خبزهم من الدقيق السميذ ولا يأكلون الاّ اطراً الخضر والنضج الفاكهة . وقد يكتفون بما لا يحتاج الى مضغ من الطعام . الفقراء وغير المتمدنين يأكلون كثيراً من الطعام الخشن اليابس ولا يبالون باشظف العيش فتمتلئ معدهم وامعاؤهم وتنشط للعمل بما فيها من الفشور والالياف وما يقتضي جهداً شديداً لهضمهِ او لا يهضم مطلقاً . واما معد المتمدنين المترفهين وامعاؤهم فلا يدخلها الاّ قليل ممّا يعسر هضمهُ مع بعض المواد السامّة فلا تمتلئ فتعتاد الكسل وتصاب بالقبض

ثم ان اكثر الڤيتامين موجود في نخالة القمح التي ينخلها المتمدنون ويطعمونها لمواشيهم ودجاجهم . والڤيتامين الذي في الخضراوات والبقول يزول بسلقها او طبخها ولاسيما اذا اضيف الى الماء الذي تسلق بهِ قليل من كربونات الصودا . وفقد

الفيتامين ينتج امراضاً عديدة وقلتهُ اذا استمرّت تتلف القناة الهضمية . وقد ثبت من التجارب في القرود وغيرها من الحيوانات ان فقد الفيتامين من الطعام يسبب انتفاخ المعدة وضعفها ويوقع خللاً في الامعاء فتضمر العضلات التي تدفع البراز الى الخروج من الجسم وتضعف جدران الامعاء وتتقرح . ففقد الفيتامين من الطعام يسبب القبض ويسبب سحجاً او قروحاً في الامعاء تتولد منها موادسامّة تمتصها الجسم. واكثر من نصف الذين يموتون بالسرطان من الرجال يكون سبب سرطانهم ادواء في المعدة والامعاء. فان فقد الفيتامين يسبب ضعف في المعدة والامعاء واذا اضيف الى ذلك القبض الناتج عن قلة المواد الخشنة التي تزيد حركة المعدة والامعاء تكونت القروح ودب فيها الفساد وتكونت منهُ سموم خطرة. ويحاول المتمدنون اصلاح الحال بالادوية والمساهل بدلاً من اكل الطعام المناسب لتقوية معدهم وامعائهم فتهيج الامعاء لدفع ما فيها من المبرزات الجامدة بقوة فتزيد التقرح تقرحاً . وبديهي انهُ اذا تكرر ذلك عشرين سنة او ثلاثين تولدت في الامعاء اورام سرطانية خبيثة . ومن المعلوم ان سرطان الامعاء يكون مقرهُ في الغالب قرب المخرج حيث يشتدُّ الضغط لاخراج المبرزات الجامدة

الاشربة الحارة

اكثر وقوع السرطان في المعدة والامعاء كما تقدم. والمعدة والامعاء ليس فيهما اعصاب تشعر بالالم فلا يشعر الانسان بسحج او قرحة في معدته او امعائه ويتفاقم الضرر بالاطعمة والاشربة الحارة . فان اعلى درجة من الحرارة تحتملها بسهولة الدرجة ١١٠ بميزان فارنهيت (٤٣ بميزان سنتغراد) ولكن الانسان قد يتناول من الاطعمة والاشربة ما حرارته ١٣٠ درجة الى ١٥٠ درجة فتعرض جدران المرىء والمعدة لحرارة لا تحتملها ايدينا ولا اقدامنا

يموت من الرجال بسرطان المريء في انكلترا واميركا نحو خمسة اضعاف ما يموت من النساء بهذا السرطان وسبب ذلك ان الرجال يشربون الشاي الساخن بسرعة والنساء يشربنهُ متمهلات والمريء مجرى الطعام من الفم الى المعدة فتؤثر فيهِ حرارة الطعام والشراب اكثر مما تؤثر في المعدة لان المعدة واسعة لا تخلو من طعام وشراب يخفض حرارة ما يدخلها سخناً

قلت سابقاً ان اهالي حالايا يصابون بالسرطان من الحروق التي تصيبهم من

كوانينهم ونحن ندخل معدتنا ما يحرقها يوماً بعد يوم فتولد فيها سموماً تزمن فتنتج سرطاناً

يتضح مما تقدم ان السرطان داء يسببهُ التسمم المزمن وفقد الفيتامين وانهُ يحتاج لظهوره نحو عشرين سنة او اكثر ولذلك فهو من ادواء الشيخوخة. والغالب انهُ يصيب الاماكن الضعيفة . فالمرأة قد تصاب بالسرطان في ثديها اذا اتفق ان لطمت عليهِ . ويحدث السرطان حينئذٍ بعد اللطمة ببضعة اشهر لا لان اللطمة سببت السرطان بل لان التسمم المزمن في بدنها وقلة الفيتامين فيهِ اعدّا جسمها لظهور السرطان وجاءت اللطمة محددة المحل الذي يظهر فيهِ . ومن هذا القبيل سرطان الرحم فهو عندي غير مسبب عن ولادة الاولاد لان نساء المتوحشين يلدن اولاداً كثيرين ولا يصبن بهذا السرطان بل هو ناتج عن التسمم المزمن وقلة الفيتامين . وظهورهُ في الرحم دليل على انها اضعف الاعضاء عن المقاومة . وقد يصاب الثدي بالسرطان من غير ضربة تصيبهُ فيكون السبب علاقة خفية بين الثدي والمعدة فان القبض في النساء يأول الى ضمور في الثديين وهذا امر يعرفهُ اكثر الاطباء

واللواتي يمتن بالسرطان من النساء اكثر من الذين يموتون بهِ من الرجال . ويمكن تعليل ذلك اذا قلنا ان السرطان ناتج عن التسمم المزمن وقلة الفيتامين فان بطون النساء اوسع من بطون الرجال وهنَّ يفضلن الاطعمة اللطيفة القليلة الفيتامين ولذلك تراهن معرضات اكثر من الرجال للقبض والتسمم الذاتي

فاذا كان ما تقدم صحيحاً فالسرطان ناتج عن خلل في المعيشة وسببهُ توالي التسمم المزمن وقلة الفيتامين مدة عشرين سنة او ثلاثين او اكثر وحينئذٍ لا داعي للبحث عن مكروب لهُ ولا عن دواء يداوى بهِ لان نتيجة الاستمرار على ما يضرُّ مدة عشرين سنة او ثلاثين أو اكثر لا يمكن ان تزال بشرب دواء او الحقن بهِ . واذا كان ما تقدم صحيحاً لم يبقَ سبيل لحدوث السرطان اذا أصلحت المعيشة حتى يجتنب التسمم المزمن ونقص الفيتامين انتهى

هذا وقد نشرنا هذه المقالة لان ما جاء فيها معقول ولو لم يكن فيهِ فصل الخطاب. وسنرى ما يقولهُ غير صاحبها مما يؤيد رأيهُ او ينقضهُ او مما يقويهِ او يضعفهُ